علم الجمال الداروني والاهتمامات الفنية المتماثلة لدى البشر

دنيس دتون
ترجمة : عادل العامل

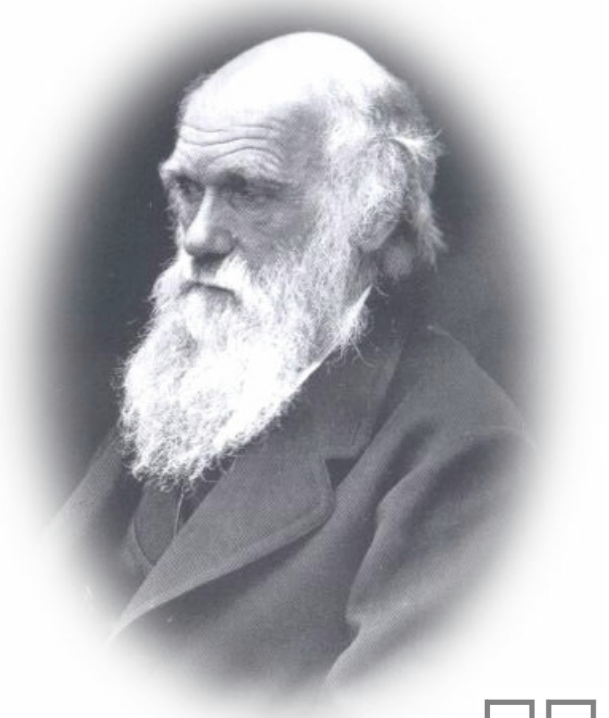

على امتداد التاريخ وعبر الثقافات ، اظهرت فنون الجنس البشري ملامح شاملة. وقد تطورت هذه الميول والنماذج الجمالية كجزء من طبيعتنا السايكولوجية ، المغروسة في النوع الانساني على مدى الـ٨٠٠٠٠ جيل التي عاشها اسلافنا في الـ١,٦ ملايين سنة من العصر البليستوسيني Pleistocene وقد أشير الى وجود السايكولوجيا الجمالية العمومية ، لا تجريبياً فقط ، وانما من خلال حقيقة ان الفنون ترتحل خارج سياقاتها المحلية بسهولة كبيرة. فبيتهوفن ، مثلاً ، محبوب في اليابان ، والفن البدائي في باريس ، والسيراميك الكوري في البرازيل ، وافلام هوليود في جميع انحاء العالم.

وقد بقيت سايكولوجيانا الجمالية من دون تغيير منذ بناء المدن وحلول الكتابة قبل اكثر من ١٠٠٠٠ سنة، وهو ما يفسر لماذا تظل الاليـاذة والاوديسية لهومر، وملحمة جلجامش، مادة مقروءة صالحة اليوم. ولم تفقد اذواقنا في العصر البليستوسيني (العصر الحديث الاقرب) بالنسبة للاطعمة الدهنية والحلويات، ولا اذواقنا القديمة بالنسبة للتسلية الفنية.

فالفنية التي يجدها الناس، مثلاً على صعيد العالم في الولوع بالتحف الفنية، من براكسيتيليس الى رينيه فليمينغ، ليست تكونيا اجتماعياً، وانما هي تكيف تطوري، ويأتي الاهتمام العالمي النطاق بالرياضة من اصل مماثل.

وعروض البراعة الفنية الفائقة تجعل الجمهور في العادة ينظر منبهراً، بصرف النظر عن سياقها الثقافي النوعي. فلا عجب في ان هذا يمثل مظهراً عاما للطبيعة الانسانية: فعلى مدى الاف الاجيال، فان الصيادين —الجامعين الذين برعوا في اعمالهم، وشجعوا على البراعة من خلال الاعجاب بها، سيستمرون في البقاء على نحو افضل من ابناء عمومتهم الأقل مهارة ازاء الضواري وقساوة بيئة معادية.

وللسايكولوجيا الدارونية تطبيقاتها الهامة الاخرى بالنسبة لعلم الجمال. ولننظر الى رسم المشهد الطبيعي وفن التقويم. فالدراسات الخاصة بالمنظر الطبيعي وتفضيلاته تظهر بشكل متكرر ميلاً انسانياً الى مناوبة ايكات الشجر والفضاءات المكشوفة، وغالباً ما تكون ارضاً من تلال، مع حيوانات، وماء ومجرى نهر يلتف في امتداد مائل الى الزرقة، جذاب وغامض ايضاً، وهذا التفضيل لمناظر العصر البليستوسيني، الذي تم التحقق منه تجريبياً كثابت عبوري — ثقافي Ross-cultural اليوم، يتجلى في رسم الفنانين الاوروبيين المبكرين، مثل البريخت التدورفر وسلفادور روزا، وهو موجود اليوم في التقاويم التي تعلق في المطابخ والمكاتب في مختلف انحاء العالم. وهو مشهور جداً في رسم المناظر الطبيعية الاسترالية، وذلك نتيجة لتدجين الفنانين الاوروبيين لمناظرهم الجديدة.

ويمكن رؤيته في تصميم المتنزهات العامة من نيويورك الى كيوتو الى ملبورن.

كما تشير دراسات عبورية —ثقافية الى موضوعات متواصلة في الدراما والقصص. فعندما وصف ارسطو نقاط الحبكة الاساسية في التراجيديا الاغريقية، يمكن ان يكون قد فكر بانه كان يتحدث فقط عن ثقافته. لكن الامر ليس هكذا. فموضوعات انهيار الاسرة ("قتلته لانها احبته") موجودة ايضا في الادب القصصي الصيني والاوبرات الصابونية المكسيكية. وما يثير اهتمامنا في الغالب هو الصراع المفعم بالكراهية بين الاشخاص الذين نتوقع ان يحبوا بعضهم البعض الاخر —الام التي تقتل اطفالها لتعود الى زوجها، الاخوان اللذان يتقاتلان حتى الموت —وهي صراعات تهدد بالخطر على نحو واضح استمرار بقاء لا الافراد فقط، بل ، وهو اكثر اساسية مورثاتهم. وقصص المغامرة، والشر المتغلب، والظلم، والعقبات امام الحب، موجودة في كل مكان. وهي تتضمن في العادة فتيات جميلات، ورجالاً اقوياء، واطفالاً بحاجة الى حماية، وشيوخاً حكماء. وعمومية هذه الموضوعات والاوضاع تحظى باهتمام خاص في النظريات الادبية الدارونية.

ان الاصل الداروني للفن موضوع جدل كثير. فمن غير المرجح ان تكون الفنون قد نشات في وقت واحد او لغرض واحد: فقد تطورت من اهتمامات متداخلة قائمة على الاستمرار في البقاء واختيار رفيق، وهي تستكشف وتنتفع من عواطف عاشها حتى اسلافنا اشباه البشر. ويتجلى نفع الفنون بالنسبة للاستمرار في البقاء من خلال الميل الانساني العمومي لاعادة تكوين الواقع في الخيال. فتكرار الاخطار والنزاعات في القصة طريقة لاستكشاف ما يتعلق بالعالم من امور بدون التعرض للمخاطر الفعلية. واسلافنا اولئك الذين استمدوا متعة من "الممارسة" القصصية الخيالية للحياة الواقعية اكتسبوا حاشية نشوئية او تطورية: فكانوا افضل استعداداً للتعامل مع العالم الواقعي كما وجدوه.

كما ان الفنون تردد صدى العرض Display الجنسي الذي يرافق الانتخاب الداروني. فذيل الطاووس البهي الضخم لا يتسم بقيمة بقائية Survival جوهرية في البرية. وانما هو، على العكس، يبطيء من حركة الطاووس كثيراً ويجعلها مرئية اكثر بالنسبة للضواري. فذيل الطاووس منتج

لاختيارات الطاووسة: اذ تختار الاناث الذكور ذوي الذيول الاكبر، والاكثر روعة في التشكيل. وكان الكثير من الشخصية البشرية مشكلة على نحو مماثل من خلال اختيار النساء والرجال لرفقاء ما هرين، عطوفين ، محبين، واذكياء في العصر البليستوسيني (الحديث الاقرب). وسينفذ هذا ايضا ليس فقط الى الفنون باعتبارها استعراض "تباه" للبراعة الفنية الفائقة، بل والى قدرتنا العالية الذكاء على استخدام الذاكرة واللغة على نحو ابداعي الى مستويات تتجاوز مجرد متطلبات الاستمرار في البقاء. اما كيف نمسح ما حولنا بصريا، وكيف نسمع، واحساسنا بالايقاع، ومباهج التعبير الفني وفي انضمامنا مع الاخرين كحضور: كل هذا واكثر ستوضحه في حينه الجماليات الدارونية.

ومع ان من الممكن تحديد الموضوعات والمواضيع الدائمة في الفنون، فان البشر في كل مكان يتألقون ايضا للتمتع بما هو جديد، وهذا التلهف الى الجدة في حد ذاته مجال فاتن من البحث التجريبي. وهناك، على سبيل المثال، نزعة لدى جميع الانواع الفنية لان تتطور باتجاه مضمون عاطفي اعظم في الوقت المناسب. فالموسيقى تتحرك من الباروك Baroque الى الكلاسيك الى الرومانس، فتصبح معها الانتقالات اكثر تأثيراً في النفس، والانفعالات اقوى، والاوكسترات اكبر، وتمضي الافلام من مجرد قصص توضيحية لتصير مثيرة بطريقة اكثر تدفقا بالحياة. وهذه النماذج المتجهة نحو العنف المتزايد والمضمون الانفعالي يمكن ان يعزا بدرجة كبيرة الى الشبع التام: العلمية التي نتخلص بها ببساطة من اي شيء نستهلكه ونتلهف الى مزيد من الاثارة منه. ومثل هذه الدورات تميل لان تكون لها خاتمة طبيعية، بقيام منتجي الافلام دورياً، مثلاً، بالعودة الى شكلانية Formality جين او ستن الهادئة بعد توسيع حدود الجنس والعنف. ويمكن رسم هذه الاحداث المتسلسلة Episodes ودراستها ربما بدقة اقل، ولكن بالتأكيد بافتتان اكثر، مما تستطيعه موجات دورات تيارات المحيط.

لقد فرت الجماليات الدارونية بصعوبة من الارض، ويبقى هناك عمل كثير ينبغي القيام به. ومع هذا، رأيت للتو مقاومة عنيدة للفكرة ذاتها وسط اكاديميين في الانسانيات اكبر سنا. ومن الغريب ان نفس الاكاديميين الذين يعبرون عن الغضب من ان محافظين متدينين يريدون ابقاء داروِن بعيداً عن دروس بايلوجيا المدارس الثانوية في الولايات المتحدة هم انفسهم غير راغبين في قبول داروِن داخل حلقاتهم الدراسية. فالجماليات المقترب منها بتقنيات بحث سليمة علمياً، ومفهومة ستكون على نحو واضح تهديداً للمعتقدات التقليدية السائدة.

لكن ليس هناك من سبب بالنسبة للانسانيين Humanists الذين علاهم الشيب لان يقلقوا فالثقافة، الفكرة المركزية للانسانيات كما هي قائمة الان، تقوم بمساهمة هائلة بالنسبة لمعنى الفن وليس لعلم الجمال الداروني رغبة في انكاره. وفي الحقيقة، كان داروِن ينظر الى البشر كحيوانات مبدعة للثقافة. ولاينكر على الجمال الداروني إلا فكرة ان الثقافة هي كل قصة الفن.

والتفسير الاكمل لأعمال الفن العظيمة سوف يتوجه الى الشكل، والمضمون السردي، والايديولوجيا، وكيف تتشرب العين او العقل بالعمل الفني، وفي الحقيقة كيف يمكنه ان ينتج متعة تحويل الحياة.

فالجماليات الدارونية هي حول فهم الطبيعة الاعمق لادراكنا الجمال. وسيبقى بعض هذا على الدوام سراً، بالطبع، وليس هناك من ضوء في ذلك ايضاً.

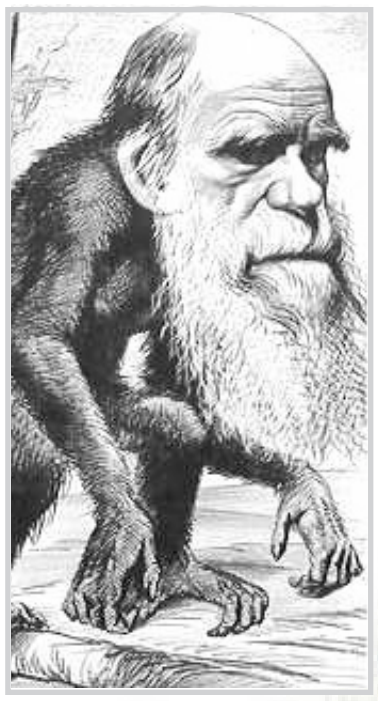

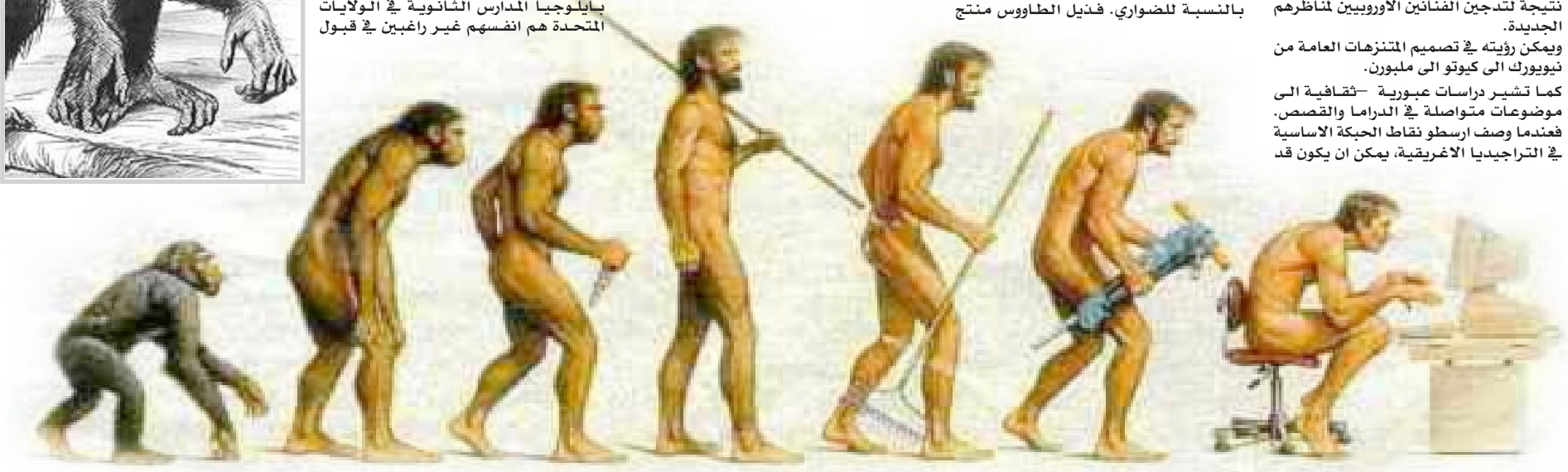

الحياة على النمط الغربي تسبب الأصابة بالربو

ترجمة : سمير أحمد

أكد بحث صيني جديد ان الحياة على النمط الغربي والحمية لها صلة وثيقة بالمعدلات العالية بالأصابة بالربو بين الأطفال.

وأظهرت دراسة أجريت على ١١من أطفال المدارس الأبتدائيةان أولئك الذين يعيشون في هونج كونج وهي أكثر المدن الصينية التي تسير على النمط الغربي هم الأكثر عرضة للأصابة بأمراض الربو.وربما تلقي هذه النتائج بالضوءعلى تفسير المعدلات العالية من الربو في الدول المتقدمة . ويتلقى حوالي ٥,١مليون شخص حاليا في بريطانياالعلاج من الربو بينهم ١ مليون طفل .وقارن الباحثون بين أطفال تتراوح أعمارهم بين ١٣ و١٤ عاما في ثلاث مدن صينية تمثل مراحل مختلفة من العصرية وهي هونج كونج وبكين وجوانتشو.وسئل الآباء عن أعراض الربو ومدى تعرض أطفالهم لعوامل بيئية مختلفة .

وتشمل هذه العوامل التعرض للطبخ بالغاز والحشيات المصنوعة من مادة الأسفنج والألحفة القطنية والسكن الرطب والحيوانات والقطط والكلاب أو حيوانات المزارع.كما سئل المستطلعون عن تناولهم للفاكهة والخضروات الطازجة كعامل أخذ في الأعتبار.وأجريت لمجموعة صغيرة تضم٤٠٠٠ طفل أختبارات حساسية على الجلد لثمان مثيرات حساسية شائعة مثل اللقاح والغبار.وثبت من خلال نتائج الدراسة ان أعراض الأزمة مثل أزيز الصدرأي التنفس بصعوبة شائعة بثلاثة أضعاف بين الأطفال من هونج كونج أكثر من الأطفال من المدينتين الأخريين في بر الصين.

كما ثبت ان العوامل التي تلازم التنفس بصعوبة هي التعرض للطبخ بالغاز وحشيات الأسفنج.

وتشمل عوامل الحماية استخدام ألحفة مصنوعة من القطن وتناول الفاكهة والخضروات الطازجة بصفة منتظمة.

وكتب البحثون بقيادة البروفيسور جاري ونج في جامعة هونج كونج في المجلة الطبية البريطانية:

بسبب التطور الأقتصادي في بر الصين فأن العصرية تختلف من مدينة لأخرى فيه. ولتشابه الخلفية الجينية للخاضعين للدراسة فأن الأختلافات في انتشارالربو ترجع على الأرجح لعوامل بيئية مختلفة .

وكانت دراسة أخرى نشرت في المجلة الطبية البريطانية توصلت الى أستقرار معدلات الأصابة بالربو بين الأطفال في بريطانيا رغم أزدياد عدد الأطفال الذين يصابون بالحساسية.

عن مجلة "لوبوا"الفرنسية

اثار من الماضي القريب

امسية شاي مع هتلر

اعداد المهندس : اثير شمعون الياس

على الرغم من مرور اكثر من ٦٠ عاماً على نهاية الرايخ الثالث والحزب النازي وموت زعيمه ادولف هتلر ، لا تزال حياة القائد الالماني وخصوصياته وموته المجهول من المواضيع المثيرة التي تجذب انتباه القراء واهتمام المورخين في كل انحاء العالم.

القائد النازي كما هو معروف عنه، كانت له اسرار كثيرة وقرارات لا يعلم بها احيانا حتى اقرب مساعديه اليه الا حين صدورها واعلانها.

من بين اسراره، كانت له مواقع سرية في قرى وبلدات نائية او منعزلة يلجأ اليها من وقت لاخر، طلبا للراحة والاستجمام، او للانفراد والتفكير في وضع الخطط واتخاذ القرارات.

احد اهم منتجعات هتلر السرية بلدة تدعى بيختغادن Berchtesgaden وتقع في منطقة جبلية جنوب —السبورغ وجنوب شرق ميونخ بين الحدود الالمانية والنمساوية، حيث كان يستريح فيها كثير من الاوقات من صخب حياته السياسية والعسكرية، ويتمتع بهواء الجبل النقي وطبيعته الخلابة.

الموقع كان منعزلاً وسريا لا يعرف به الا معاونوه والمقربين اليه. وحتى الشخصيات السياسية التي كانت تزوره، تجهل الموقع ومكانه بالضبط.

هتلر كان مولعا بالمنتجعات البافارية بشكل خاص وله مسكن في منتجع بلدة بيركهوف Berghof منذ عام ١٩٣٣,

في منتجع بيرختسفادن، اشرف هتلر على بناء وتصميم الموقع مع المهندسين والاخصائيين بهندسة الانشاءات وتحصين المواقع. حرص على وجود دور مجاورة لاقرب معاونيه، وبنى فيه اكثر من فندق وقاعات استقبال، حيث كان يخصص قاعة في كل مبنى يدعوها قاعة الشاي، يستقبل فيها في الاماسي الاصدقاء او الشخصيات السياسية العالمية انذاك.

استقبل هتلر في امسيات بيرختسغادن وفي بيركهوف شخصيات مثل موسوليني، ورئيس وزراء بريطانيا جامبرلين Chamberlain الذي خاب امله كثيراً من مقابلة هتلر هناك، وكذلك دوق ديندسور الذي اندهل اعجابا بعد لقائه هتلر في تلك المنطقة.

اصبحت بيرختسغادن النائية، المنعزلة والغير معروفة، منافسة للعاصمة برلين من حيث مركز القوة —حيث كان زوار هتلر الرسميين وغير الرسميين يلقونه هناك بدلا من برلين، كثير من القرارات السياسية والعسكرية صدرت من هناك وكذلك بعض المعاهدات والاتفاقيات، وبحضور كبار قادة الجيش والسياسيين.

مصير البلدة والمنتجعات الخاصة

الحلفاء انتبهوا الى اهمية هذه المنتجعات وما تحويه من وثائق ومخططات، والاهمية الستراتيجية، حيث كانت بيرختسغادن وغيرها تمثل مخبأ وملجأ مثالياً لهتلر في حالة خسارته لمعارك او الحرب اباكملها، فالبلدات نائية في اعالي الجبال، وقريبة على الحدود من الدول الاخرى.

اي تم اختيارها بعناية وتخطيط جيد —وكذلك تصميم المباني والمواقع نفذ بحيث يهيأ كافة سبل الامان وحتى الهروب فالفنادق والصالات مجهزة بسراديب وانفاق متصلة كل مجموعة فيما بينها لتسهيل المرور والهروب.

كما ان بلدة بيرختسغادن، كانت محاطة بسياج معدني على شكل اوراق نباتات واشجار ومصبوغ باللون الاخضر للتمويه ، بلغ طوله عدة كيلومترات.

في الفترة ١٩٤٤1945 – قصفت البلدة عدة مرات من قبل الحلفاء، ودمرت المباني والفنادق والانشاءات حتى قبل سقوط برلين وذلك تحسباً لالتجاء هتلر ومعاونيه اليها، لضمان عدم توفر يلجأ لهم، قدمرت حتى الصالات والمرافق الاخرى.

في عام ١٩٥٢ دمرت البلدة او ما تبقى منها تماماً بالدينمايت اي بعد انتهاء الحرب بـ ٧ سنوات وذلك لئلا توحي الاثار بذكرى الفوهرر السابق!

في عام ٢٠٠٠ وعلى اثر بعض التنقيبات والبحث، اكتشفت بقايا الحرس النازي SS واثار احد الفنادق الصغيرة ويدعى فندق بلاترهوف Platterhof، ولم يتبق من الاثار الاخرى غير الاسس الكونكريتية المغطاة بالطحالب، والتي قسم منها يعود الى مساكن كبار القادة الالمان في تلك البلدة امثال غورنغ، بورمان والاخرون.

حاليا، المنطقة اصبحت اكثر اغراء واثارة للباحثين التاريخيين والذين يزورون المنطقة بحثاً عن الاسرار واي مادة تتعلق بغموض الحياة الخاصة للدكتاتور النازي السابق.

وبعد عام ٢٠٠٠ تم اكتشاف اثار اخرى مهمة، مثل القنوات والدهاليز تحت الابنية واوضحها القنوات تحت فندق زوم تيركن Zum Turken وكان الموقع مؤثرا يعطي انطباعا عن التصاميم المعقدة للابنية في تلك الفترة —ووجدت اثار مبنى آخر، على الاكثر كان للضيافة ويدعى كليش هاوس -Kehlf tien H ويعني "بيت عش النسور" واستقبل فيه هتلر زواره وضيوفه من مختلف الدول.

ان آثار الموقع والمباني والمبالغة في الضخامة والبروز كانت تدل وتشير بوضوح الى جنون العظمة لقائد الرايخ الثالث.

الوثائق التي اكتشفت في المنطقة والبلدان الاخرى معروضة حاليا في دار اوبرسلازبرك -Oberslaz berg، وكلها تشير الى الموقع، احداثياته وخرائط الابنية والقنوات الارضية وشبكة المستودعات والمخابئ تحت الارض بشكل هائل لا يصدق. الجدران العالية، الاسيجة الكونكريتية والشرائط والالواح المعدنية الملونة كلها تعتبر مادة بحث دسمة صحافية بالذات، بحيث التساؤل يدور بماذا كان يفكر هتلر عند بناءه هذه المنتجعات والابنية.

هل كان يفكر في الهروب يوماً ما ؟ هل كان يعرف انه غير واقعي وطاغية؟ ولا بد من الهزيمة؟ والا لماذا التحصينات الهائلة وهو في عز صعوده السياسي والعسكري؟

عن نشرة history BBC